

حقوقُ الوالدينِ والكبارِ -8-4-1446هـ- مستفادة من خطبِ الشيخ

هلالِ الهاجري وعبدِ الله الطريف وأحمد الطيار

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه
كما يحبُّ ربُّنا ويرضى.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ-صلى الله وسلم
وبارك عليه وعلى آله وصحبه-.

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، أَمَّا بَعْدُ:

فيا إخواني الكرام: لقد توسَّلَ زكريا-على عليه
السَّلام- بِكَبَرِ سِنِّهِ عِنْدَمَا أَرَادَ الْوَلَدَ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ
مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا، وَامْرَأَتُهُ عَاقِرٌ لَا تَصْلِحُ لِلْإِنْجَابِ،
ف(قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا

وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا؛ لِأَنَّ طَلَبَهُ يُشْبَهُ الْخَيَالَ
وَالْمُسْتَحِيلَ، فَيَحْتَاجُ أَنْ يَتَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ جَلِيلٍ،
فَذَكَرَ قَبْلَ دُعَائِهِ أَنَّهُ قَدْ وَهَنَ - ضَعُفَ - عَظُمَهُ فِي
عِبَادَتِهِ، وَشَابَ رَأْسُهُ فِي طَاعَتِهِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ
عِنْدَ اللَّهِ حَبِيبٌ، وَإِجَابَةُ دُعَائِهِ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ، وَهَكَذَا
كِبَارُ السِّنِّ فِي الْإِسْلَامِ، هُمْ خَيْرُ الْأَنَامِ، بِشَهَادَةِ
رَسُولِ الْإِسْلَامِ - عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَعِنْدَمَا
سُئِلَ: "أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَنَ
عَمَلُهُ".

كِبَارُ السِّنِّ هُمُ الْفَتَى الْعَزِيزَةُ الْغَالِيَةُ، الَّتِي لَهَا
الْمَكَانَةُ الْعَالِيَةُ، هُمْ فِي الْبُيُوتِ مَصْدَرُ السَّعَادَةِ
وَالسُّرُورِ، وَهُمْ فِي الْعَائِلَاتِ أَعْمَدَةُ الْحِكْمَةِ وَالنُّورِ،

قد ذهبَتْ قُوَّتُهُمْ، وجاءَ ضَعْفُهُمْ وشَيْبَتُهُمْ، قالَ-

تعالى:- (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ

بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً)،

فَكَمْ مِنْ نَصْرٍ وَرِزْقٍ جَاءَ مِنْ دُعَائِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ، قالَ

الرسولُ-عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "هَلْ تُنصِرُونَ

وَتُرزِقُونَ إِلَّا بضعفائِكُمْ؟ بدعوتِهِمْ وإِخْلَاصِهِمْ".

قد شابَتْ رؤوسُهُمْ مِنْ تَجَارِبِ الزَّمَنِ وشَرِيطِ

الدِّكْرِيَّاتِ، وتوقَّدتْ عقولُهُمْ مِنْ مَوَاقِفِ العَمْرِ

ومواعظِ الحَيَاةِ، إِذَا تكلَّمَ سَمِعَتْ فِي حَدِيثِهِ التَّارِيخِ

والْحَوَادِثِ وَالخَبَرَ، وَإِذَا سَكَتَ رَأَيْتَ عَلَى وَجْهِهِ

الأسْرَارَ وَالعِبْرَ، فَإِذَا كُنْتَ عِنْدَهُمْ فَاسْكُتْ، وَإِذَا

تَكَلَّمُوا فَأَنْصِتْ، وَأَطْفِئِ جِوَالِكَ، وَأَجَلْ أَشْغَالَكَ،

فذلك من احترامهم وتوقيرهم الذي هو من تعظيم
الله-تعالى-، قال الرسول-عليه الصلاة والسلام-:
"إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ-مِنْ تَبْجِيلِهِ وَتَعْظِيمِهِ-إِكْرَامَ ذِي
الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ".

اسمعوا إلى وصية الله-تعالى-بعدهما وصانا بأعظم
وصية، وهي عبادته وحده لا شريك له، ماذا قال
بعدها؟ قال: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ
كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا)، فأوصى بهما إذا بلغا الكبر؛ لأنَّ كبير السنِّ
يلتفتُ فلا يرى الأحباب، ويُنادي فلا يُجيبُ
الأصحابُ، قد ذهبَ الأهلُ والأصدقاءُ، وقد ماتَ

العشيرُ والجلساءُ، فعِندها يَحزنُ القلبُ ويضيقُ
الصِّدرُ، ويحتاجُ إلى مُعاملةِ الإحسانِ والصِّبرِ،
(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ
ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا).

والكبيرُ له الحقُّ في أن يُوصلَ ويُزارَ، ويجتمعَ عنده
في المنزلِ الكِبارُ والصِّغارُ، فعِندما دَخَلَ الرسولُ-
عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-مَكَّةَ فَاتِحًا مُنتَصِرًا، فإذا بأبي
بَكْرٍ-رضي اللهُ عنه-قد جاءَ آخِذًا بِيَدِ أَبِيهِ أَبِي
قُحَافَةَ الشَّيخِ الكَبِيرِ، يَسُوقُهُ إِلَى النَّبِيِّ-عليه الصَّلَاةُ
والسَّلَامُ-: فَلَمَّا رآهُ-عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-قالَ
لأبي بَكْرٍ مُعَاتِبًا: "أَلَا تَرَكَتَهُ حَتَّى نَكُونَ نَحْنُ الَّذِي
نَأْتِيهِ"، هكذا كانتُ أخلاقُ إمامِ المُتَّقِينَ، وخاتمِ

النَّبِيِّنَ، مَعَ الْكِبَارِ وَالْمُسْنِينِ.

وَقَالَ الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "مَنْ لَمْ

يَرْحَمَ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ حَقَّ كَبِيرِنَا، فَلَيْسَ مِنَّا".

وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-

شَيْخًا يَهُودِيًّا ضَرِيرًا -أَعْمَى- يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى النَّاسِ يَطْلُبُ

الْمُسَاعَدَةَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا أَلْجَأَكَ إِلَى مَا أَرَى، قَالَ

الْيَهُودِيُّ: فَرَضْتُمْ عَلَيَّ الْجِزْيَةَ وَأَنَا فَقِيرٌ كَبِيرُ السِّنِّ،

لَا أَسْتَطِيعُ الْعَمَلَ لِأَدَاءِ مَا عَلَيَّ، فَلَجَأْتُ إِلَى مَدِّ يَدِي

إِلَى النَّاسِ، فَرَّقَ لَهُ عُمَرُ -رَحِمَهُ-، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَتْرَلِهِ

فَأَعْطَاهُ مَالًا، وَأَمَرَ بِإِسْقَاطِ الْجِزْيَةِ عَنْهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا

أَنْصَفُنَاهُ، أَنْ أَكَلْنَا شَبِيبَتَهُ -شَبَابَهُ- ثُمَّ تَخَذَلَهُ عِنْدَ

الْهَرَمِ -الْكَبْرِ- وَأَسْقَطَ الْجِزْيَةَ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ كَبِيرٍ فِي

هذه هي أخلاق الإسلام، فأَجْمَلُ بنا أن نتحلى بها.

أستغفر الله لي ولكم وللمسلمين...

الخطبة الثانية

الحمد لله كما يحب ربنا ويرضى، أمّا بعدُ:

فهل يُعقلُ بعدَ تعبِ الدَّهرِ والسِّنِّينَ، أن يُلقى كِبَارُ السِّنِّ في دارِ المُسنِّينَ؟ فمن أين جاءت هذه العاداتُ الذميمةُ؟ التي يَأبَاهَا الإسلامُ والأخلاقُ الكريمةُ، فَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، فكيف يُتركُ في آخرِ عُمُرِهِ حَبِيسَ الجُدْرانِ، مهملاً ووحيداً أسيرَ الأحرانِ، فهل هذا هو البرُّ والإحسانُ، وهل

هذه وصية العزيز الرَّحْمَنِ، التي خَلَّدَهَا على مَرِّ
الدُّهُورِ في الْقُرْآنِ؟! (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
إِحْسَانًا).

بل يَتَأَكَّدُ الاحْتِرَامُ وَالتَّوْقِيرُ، عِنْدَمَا يَضْعُفُ
الكَبِيرُ، فَيَخُونُهُ البَصَرُ وَالسَّمْعُ، وَتَتَنَكَّرُ لَهُ الذَّاكِرَةُ،
قَالَ-تعالى-: (وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا
يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)، فَعِنْدَهَا لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ
أَنْ يُخْتَبَرُوا فِي ذَاكِرَتِهِمْ، حَتَّى لَا يُحْرَجُوا، فَلَا يُقَالُ
لَهُمْ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا الْإِنْسَانَ؟ أَوْ هَلْ تَذَكُرُونَ ذَاكَ
الزَّمَانَ؟ فَتَضِيقُ صُدُورُهُمْ بِالنِّسْيَانِ، بَلْ يَنْبَغِي حِينَهَا
أَنْ نُبَادِرَ بِالتَّعْرِيفِ بِأَسْمَائِنَا، وَأَنْ نُسَعِدَهُمْ بِأَخْبَارِنَا
وَأَخْبَارِ أبنَائِنَا، فَإِنْ أَصْبَحُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ التَّعْرِيفَ

علينا، فنحنُ ما نزالُ نذكرهم ونعرفُ حقهم علينا.
إخواني: ألم يأتِ وقتُ ردِّ الجميلِ، قبلَ أن يُبادرَ
موعدُ الرَّحيلِ، هل نسينا سَهْرَ اللَّيالي، هل غفلنا عن
الأيامِ الخوالي، فقد كانتْ سعادةُ الأمّهاتِ في رؤيةِ
تلكَ البَسَماتِ، وكانتْ فرحةُ الآباءِ في البَدلِ
والعطاءِ، فمتى عسى أن نوفيهم بعضَ حقهم
وشُكرهم، وكلُّ ما ننعُمُ بهِ اليومَ بفضلِ اللهِ ثم بتضحيةِ
عُمُرهم، فكما أكرمونا صِغارًا، فيجبُ الإحسانُ
إليهم كبارًا، فَهَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ.

إخواني: ومن تربيةِ الصغيرِ على احترامِ الكبيرِ
تدريبه على إيثارِ والديه على نفسه في كلِّ معروفٍ
وخيرٍ، فلا يسابِقُهما في الأكلِ أو الدخولِ أو

الخروج، ولا ينشغل عنهم بجوالٍ أو غيره، ويشاورهما
في كلِّ شيءٍ، ويجلسُ بأدبٍ أمامهما فلا يمدُّ رجله،
ولا يعطيها ظهره، ولا يقاطعهما إذا تكلما، بل
يصغي ويستمع، ولا يتحدثُ عندهما بصوتٍ مرتفعٍ
أو بغضبٍ أو استهزاءٍ، أو تعالٍ أو تكبرٍ، ولا يُظهرُ
لهما أنه أعلمُ منهما، وإن أخطأ تحملهما، وبينَ لهما
خطأهما بأسلوبٍ لبقٍ مؤدبٍ، غير مُستفزٍ ولا مُغضبٍ
ولا جارحٍ، فهذا نبيُّ الله إبراهيمُ الذي آتاه اللهُ العلمَ
والنبوةَ، والأدبَ والحكمةَ-عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-
يحاوِرُ أباه الكافرَ ويقولُ له: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)
فتأمل هذا الأدبَ، ما قالَ له: أنا أعلمُ منك وأنتَ

جاهلٌ، أنا تعلمتُ، أنا دكتورٌ...

أَحْسِنُ بِنَا أَنْ نَرِي أبنَاءَنَا وبنَاتِنَا عَلَى تِلْكَ
الأخلاقِ وَغَيْرِهَا مِنْ الآدَابِ الجميلةِ، والأخلاقِ
الحسنةِ، فَإِن تَخَلَّقُوا بِهَا مع الوالدينِ تَخَلَّقُوا بِهَا مع
الناسِ عامَّةً، وكبارِ السنِ خاصةً.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا نَشْهَدُ أَنَّكَ
أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا
قَيُّوْمُ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ وُلاةَ أُمُورِنَا وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ

وَبطانتهم، ووفقهم لرضاك، ونصر دينك، وإعلاء
كلمتك.

اللَّهُمَّ انصر جنودنا المرابطين، وردّهم سالمين
غانمين.

اللَّهُمَّ الطف بنا وبإخواننا المستضعفين على كل
حال، وبلغنا وإياهم من الخير والفرج والنصر منتهى
الآمال.

اللَّهُمَّ أحسنت خلقنا فحسّن أخلاقنا.

اللَّهُمَّ إنّنا نسألك لنا ولوالدينا وأهلنا والمسلمين
من كل خير، ونعوذُ ونعيذُهم بك من كل شر،
ونسألك لنا ولهم العفو والعافية، والهدى والسداد،

والبركة والتوفيق، وَصَلَاحَ الدِّينِ والدُّنْيَا والآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَالْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.